

رد على الشيخ حبيب علي الجفري

بداية نود الاعتراف بوجوب احترام وتقدير هؤلاء الأفراد الذين كرسوا حياتهم لخدمة التمكين الديني والروحي للآخرين. فغالبًا ما تعمل قيادتهم العلمية والأخلاقية كمنارات للتوجيه ومصدر محاكاة للأمة. ومن المتوقع، لما لدورهم من أهمية بالغة، أن يتحدثوا ويتصرفوا وفقًا لأعلى مستويات الصدق والنزاهة الأخلاقية. لذلك فإن من المخيب للآمال، بشكل خاص، أن تصدر تعليقات خاطئة من عالم يجب أن يكون جزءًا من تراث الصرامة الفكرية العالية والسلوك الأخلاقي المتفوق. الأمر الأكثر إشكالية هو أن هذه التصريحات غير اللائقة تتعلق بمجموعة من إخوانهم المسلمين الذين يتعرضون لإكراه غير مسبوق للتخلي عن دينهم وهويتهم.

ومن المؤسف أن الشيخ حبيب علي الجفري، وهو عالم مشهور في العالم العربي، أساء استخدام محاضراته الأخيرة بنشر معلومات غير صحيحة أو متحيزة سياسياً أو تضر بحياة أمة مسلمة بأكملها مستعمرة ومضطهدة من قبل الصين. وعلى الرغم من أنه يقر بأن الصين قد ارتكبت خطأً تجاه الأويغور وأنها ليست بريئة تمامًا، إلا أن الكثير من ادعاءاته لا تزال غير دقيقة وتحتاج إلى لفت انتباهه وانتباه تلاميذه. وتحاول هذه المقالة استعراض بعض هذه المغالطات وتصحيح هذه الادعاءات التي تنزع الشرعية عن الحقيقة البائسة للأويغور والشعب التركي الآخر في تركستان الشرقية (والتي أعيد تسميتها ويشار إليها باسم سينجيان).

وقد ظهر الحضور الصوفي الكبير في تركستان الشرقية من خلال مزاراتها الصوفية - التي تم التخلي عن معظمها بشكل منهجي أو تدميرها أو قطع أوصالها بأسلاك شائكة من قبل الحزب الشيوعي الصيني.

وتسلط المخطوطات القرآنية القديمة من المنطقة، وكذلك المخطوطات من القرنين التاسع عشر والعشرين، الضوء على الحفاظ على هذه التقاليد الإسلامية وأهميتها. وكثيراً من آلاف المساجد الجميلة المشيدة على الأرض، قام الحزب الشيوعي الصيني في الآونة الأخيرة بتدميرها. ونؤكد، لو أنها لم تكن أماكن زيارة وذات أهمية تاريخية، فلماذا قام الحزب الشيوعي الصيني بتجريفها؟ أصبحت كاشغر، عاصمة سلطنة الكراخانية و "جوهرة" طريق الحرير، مركزاً تعليمياً بارزاً للإسلام ومركزاً يعرض ماضي الأويغور الغني.

ومن الواضح الآن أن الغالبية العظمى من الأويغور ليسوا مسلمين منذ القرن الحادي عشر فحسب ، بل أيضاً لا يمكن فصل تاريخ تركستان الشرقية عن تاريخ العالم الإسلامي. يتبع الأويغور بشكل موحد التيار السائد لأهل السنة حسب مدرسة الحنفية ، ولديهم حب كبير لأهل البيت النبيل (عائلة وأحفاد النبي صلى الله عليه وسلم) - من الذي يدعي حبيب علي جفري أيضاً أصله - مثل جميع المسلمين الأتراك. وكان الأويغور قد أقاموا مقاماً لعالم من القرن الثامن وحفيد للنبي صلى الله عليه وسلم ، الإمام جعفر الصادق ، بالقرب من خوتان من تركستان الشرقية، والذي تم تدميره الآن من قبل نظام الحزب الشيوعي الصيني.

إذا كانت شرائح من مجتمع الأويغور لا تمارس الإسلام اليوم ، فهذا يرجع في الغالب إلى القمع الإيديولوجي الشيوعي منذ الحرب العالمية الثانية ، مثل سقوط محو الأمية الدينية والممارسات التي حدثت تحت الحكم السوفياتي في الجمهوريات التركية المجاورة. ومع ذلك ، فمن الجدير بالذكر أن نرى بعض جمهوريات آسيا الوسطى تشهد حاليًا إحياءً تدريجيًا للاحتفال الإسلامي بفضل زوال السياسات القمعية ، ملمحًا إلى الكيفية التي يمكن أن تزدهر بها الحياة الأويغورية الدينية عندما تتوقف السياسات القمعية بشأن تركستان الشرقية.

إن الأهمية التاريخية للأعمال التي أنتجها علماء الأويغور ، والعديد من المدن القديمة الموجودة في جميع أنحاء تركستان الشرقية واضحة من العدوان المنهج الذي سعت الحكومة الصينية للقضاء عليها. من حظر نشر النصوص باللغة الأويغورية ، وإغلاق جميع الأماكن الدينية ، وتحويل المواقع التاريخية إلى مراكز دعائية لنشر أويغورية علمانية مدعومة من الدولة ، دليل على أن الحزب الشيوعي الصيني ليس مهذبًا فقط من قبل ثقافة الأويغور.

رقم ٢: يدعي أن مسألة القمع الأويغوري مسألة سياسية وليست دينية.

في حين أنه من الصحيح أن الاستعمار يُفهم في الغالب على أنه ظاهرة سياسية وليست دينية ، ولكن في هذه الحالة تم استخدام "الدين" كذريعة لتنفيذ عمليات الاعتقال والمراقبة الجماعية لشعب الأويغور. وتدعي الصين أنها تقاوم ضد "التطرف الإسلامي" لحماية نفسها من ردة الفعل التي قد تواجهها نتيجة لوحشيتها في تركستان الشرقية. مثلها مثل الهند والعديد من الدول الغربية ، تستغل الصين تخوف العالم من "الإرهاب الإسلامي" لتبرير قمعها للمسلمين الأبرياء.

إن ممارسة الإسلام محظور بشكل قاطع في تركستان الشرقية ، على الرغم من الضمان الدستوري الصيني لحرية الدين. تحظر النصوص والأسماء الإسلامية ، ويُحظر ممارسة أركان الإسلام الخمسة ، وقد تم تدمير المؤسسات الإسلامية القديمة وتحويلها إلى مراكز دعائية شيوعية. اختفى علماء الدين ، أو حُكم عليهم بالسجن المؤبد أو قتلوا.

وبطبيعة الحال ، لن يكتمل التناغم في العرض بين الحزب الشيوعي الصيني دون الملايين من الصينيين الهان غير المسلمين الذين استقروا ، بمساعدة الحكومة ، داخل حدود تركستان الشرقية. في حين يتم نقل الأويغور بشكل منهجي خارج حدود وطنهم وداخل البر الرئيسي للصين للعمل كعمال قسريين أو للسجن و"إعادة التأهيل" ، فمن الصعب تجاهل الإزالة الديموغرافية للأويغور في تركستان الشرقية. ومع جلب المزيد والمزيد من الهان الصينيين إلى أراضي الأويغور ليحلوا محل السكان النازحين، دمر الحزب الشيوعي الصيني المساجد القديمة والمنازل والملاذات لإفساح المجال للمستوطنين الجدد. ويعتبر هؤلاء المستوطنون بمثابة تذكير مستمر لاختفاء الحكم الذاتي للأويغور وكذلك حراس على ما تبقى من سكان الأويغور على حد سواء. وهناك العديد من الروايات عن الصينيين الهان الذين يعيشون مع عائلات

الأويغور في منازلهم على أنهم "أشقاء كبيرون" - يغذون الحكومة بالمعلومات عن كل خطوة تقوم بها العائلة ويساعدون في سجن الأويغور حتى في أدق المخالفات الدينية.

روى سجين سابق ، عادل عبد الغفور ، في مقابلة مع مؤلفنا المشارك السيدة أيدين ، كيف تم ضربه فاقداً للوعي من قبل سلطات السجن الصينية وأجبر على ارتداء كتلة من الأسمتت وزن ٢٥ كجم لمدة شهر علقت بخيوط رفيع حول عنقه لأنه قال " بسم الله " (بسم الله) في نومه. وقد تم اغتصاب عدد لا يحصى من النساء والرجال الأويغور ، الذين تم إرسالهم إلى المخيمات والسجون بسبب الممارسة الدينية ، وتعقيمهم قسراً ، وتخديرهم ، واستخدام أجسادهم لحصاد الأعضاء. ويعاقب الأويغور بالسجن لفترات طويلة. فقد حُكم على امرأة من الأويغور بالسجن ١٠ سنوات لترويجها ارتداء الحجاب ، وحُكم على رجل كازاخستاني بالسجن ١٦ سنة بعد أن وجدت السلطات الصينية تسجيلات صوتية للقرآن على جهاز الكمبيوتر الخاص به وقال العديد من اللاجئين الأويغور الذين قابلناهم أنه حتى التحيات الإسلامية – السلام عليكم - يمكن أن تسجنهم لمدة عشر سنوات.

رقم ٣: يقول الشيخ إن السبب الذي يجعل الناس يكافحون من أجل تركستان الشرقية هو أنهم لا يريدون أن تبني الصين مبادرة حزام واحد بشارع واحد وتصبح أقوى بمرتين من أمريكا اقتصادياً.

يقال هذا الادعاء من صراع تركستان الشرقية إلى ثنائي الصين مقابل أمريكا - وبالتالي يمحو العقود التي رزحتها تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني. ففي عام ١٧٥٩ ، غزت إمبراطورية مانشو تشينغ تركستان الشرقية وجعلتها مستعمرتها الجديدة .

وقد وقع أحدث احتلال في عام ١٩٤٩ عندما وصل الحزب الشيوعي الصيني إلى السلطة ، ومنذ ذلك الحين، تعرض ملايين التركستانيين الشرقيين لأشكال مختلفة من الوحشية المنظمة والإبادة العرقية والثقافية الجماعية.

إنه لمن دواعي الأسف الشديد ليس فقط بنزع الشرعية عن جهود الشعب المسلم في الوقوف ضد مضطهديهم ، ولكن أيضاً باعتبارهم ليسوا سوى مجرد ببادق أمريكية.

وبالتالي ، من السخف حقاً فهم قضية استعمار الأويغور من خلال عدسة السياسة الصينية الأمريكية. بدأ استعمار تركستان الشرقية قبل وقت طويل من أن تصبح الصين منافساً حقيقياً في سعيها للهيمنة الاقتصادية الدولية وستستمر لفترة طويلة بعد أن تغير الولايات المتحدة أو الصين سياستها الخارجية .

رقم ٤: يسأل كيف يمكن أن يكون فيروس كورونا عقاباً إلهياً إذا بقيت سلطات الحزب الشيوعي نفسها دون أن يمسهما الفيروس بسوء.

بينما نتفق مع الشيخ على أننا لسنا في وضع يسمح لنا بالحكم على ما إذا كان أي حدث دنيوي هو فعل مباشر للعقاب الإلهي فإننا نتساءل عن بعض الآثار المترتبة المقدمة خلال محاضراته. فعلى سبيل المثال ، يسأل الشيخ كيف يمكن أن يكون كوفيد-19 عقاباً إلهياً إذا ظل الأفراد الذين اتخذوا القرارات الحكومية المباشرة التي شكلت الجزء الأكبر من القمع ضد الأويغور أنفسهم سالمين من الفيروس. ونحن نجيب: كيف يمكن للفيروس الذي يضعف الاقتصاد والبنية الاجتماعية لبلد ترتكب حكومته الإبادة الجماعية ضد ملايين الشعوب المستعمرة ، ولكن يمكننا ببساطة أن نسأل كيف يعرف الشيخ أن أيّاً من هؤلاء الأفراد لم يصب بالمرض؟ بالإضافة إلى ذلك ، نتساءل لماذا لا يمكن للعقاب الإلهي أن يستهدف نظاماً فاسداً بالكامل ، وليس مجرد بعض الأفراد الذين قد يعتبرهم لا يتطلب الأمر فعلاً من العقاب الإلهي حتى ندرك عدم أخلاقية فعل أو حدث. نحن لا ننتظر أن تصيبنا صاعقة قبل أن ندرك أننا ربما ارتكبنا إثماً. وبنفس الطريقة ، لا نعرف ما إذا كان كوفيد-19 هو عقاب إلهي ، لكننا نعرف أن اضطهاد الأويغور مدمر، وأن حجته ضد هذا ليست مقنعة.

ملاحظات ختامية

نحن لا نسعى لمعرفة السبب وراء خطب الشيخ حول وضع إخواننا وأخواتنا الأويغور بشكل كبير على قضيتهم - ولا يمكننا معرفة السبب بالتأكيد. لكن ما يمكننا فعله هو التساؤل عن مصادر معلوماته وإبراز خطورة أفعاله وكلماته. فالملايين من المسلمين في الصين قمعوا لمجرد ارتكابهم أفعالاً إيمانية بسيطة يسعد الناس في أماكن أخرى القيام بها كل يوم - بما في ذلك قول "بسم الله" قبل أن يأخذوا لقمة من الطعام. ومع مرور رمضان بسرعة ، من المحزن التفكير في الأويغور الذين يجبرون على تناول الطعام والشراب ، ناهيك عن شرب الكحول وتناول لحم الخنزير ، خلال الشهر الكريم لإثبات بعدهم عن الإسلام وقربهم من الحكومة الصينية. وبينما نجلس نحن مع عائلاتنا للإفطار ، يعاني الأويغور وغيرهم من الأتراك بصمت في آلاف السجون ومعسكرات العمل البعيدة عن أسرهم.

هذا الباحث ، أو أولئك الذين أضلوه ، لم يتجاهلوا انتهاكات الحزب الشيوعي الصيني ضد ديننا والأمة عموماً فحسب ، بل حاولوا أيضاً تثبيط مئات الآلاف من المسلمين الأحرار من مساعدة الأويغور في محتنتهم ضد الحزب الشيوعي الصيني. وكما ذكرنا سابقاً ، نحن لا نسعى للعمل كمتترجمين لمشينة الله. بل على العكس ، نحن نسعى فقط للعمل وفق تقاليد إسلامية راسخة في أخذ عبرة ، ودرس مستمد من تجربة أخلاقية مما نلاحظه في العالم. وحتى أثناء إجراء هذه الملاحظة بعناية، فإننا نعترف بأن مصادرنا هي ظنية ، أو من عدم اليقين. ومع ذلك ، نعتقد أن تاريخنا وإيماننا قد دعوا بوضوح إلى العدالة والحرية الدينية بحيث تجاهل القمع المباشر للإسلام أو المسلمين ، خاصة من خلال وسائل عنيفة وقاسية مثل تلك التي يمارسها الحزب الشيوعي الصيني ، هو ارتكاب خطأ أخلاقي أكيد .

في الختام ، نطلب بتواضع من العالم الشيخ جفري التمسك بالتعاليم الأبدية للإسلام قبل الإدلاء بمثل هذه التعليقات العمياء التي تضر بشكل صارخ بصورة الملايين من الإخوة والأخوات المسلمين المضطهدين.

والقرآن ينصح بكل وضوح بعدم الوقوف مع الظالمين ضد إخوانكم المسلمين ، "ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار". سورة هود: ١١٤

وقد أكد زعيمنا بلا منازع ، النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، أنه إذا أردت أن تقول شيئاً ، فقل شيئاً جيداً ، وإلا فالتزم الصمت "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" متفق عليه.